الاستعارة التصورية في رواية "عندما تشيخ الذئاب" لـ جمال ناجي من منظور لايكوف وجونسون

د. هجيرة لعور
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار – عنابة

مقدمة:

أثارت الاستعارة – وما زالت – اهتمام العلماء والمفكرين في مختلف مجالات المعرفة، بدءاً بأرسطو الذي استعملها بالمعنى الواسع الذي يشمل جميع أنواع الدلالة المجازية، وصولا إلى الدراسات العربية، وتحديدا في التراث البياني العربي؛ حيث الاهتمام بها قليلا مقارنة بالدراسات الغربية التي احتفت بها كثيرا، خصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر. وجعلت نظرتها للاستعارة مغايرة تماما لما ارتكزت عليه النظرية الكلاسيكية، التي كانت ترى في الاستعارة، مادة لغوية لا مادة مرتبطة بالفكر، ومن أهم هذه النظريات النظرية المعاصرة للاستعارة التي دعا إليها لايكوف وجونسن، في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، حيث ذهب هذا الثنائي إلى اعتبار الاستعارة آلية في التفكير عند كل البشر، باختلاف أعمارهم وأجناسهم، وثقافاتهم، وإيديولوجياتهم، وغيرها... وكان أهم افتراض قدمه الدارسان "أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ بل على عكس ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها، وهذا ما نعنيه حين نقول، إن النسق التصوري البشري **مبنيٌ ومحدد استعاريا**، فالاستعارات في **النسق التصوري** لكل منا."[1]

ويذهب الدارسان إلى أنّ **الاستعارات في اللغة، تستلزم وجود استعارات في النسق التصوري** لكل منّا، "فمكان الاستعارة ليست اللغة، بل الكيفية التي نتصور بها مجالا ذهنيا معينا، بواسطة مجال ذهني آخر."[2]

كما أكدا على أن جوهر الاستعارة يكمن في كونها تتيح فهم تصور ما من خلال تصور آخر، حيث"يكمن جوهر الاستعارة في كونها تتيح فهم شيء ما (وتجربته [ومعاناته]) انطلاقا من شيء آخر"[3]. وقد قدما مثالا على ذلك الاستعارة التصورية (الجدال حرب)، والتي تعكسها في حياتنا اليومية مجموعة من التعابير، منها:

1- لا يمكن أن تدافع عن ادعائك .
2- لقد هاجم كل نقاط القوة في استدلالي.
3- أصابت انتقاداته الهدف. وغيرها...[4].

ولا يتوقف التعبير عن الجدال بعبارات الحرب عند هذا الحد، بل يذهب تصورنا إلى أكثر من ذلك؛ حيث "إننا قد ننتصر أو ننهزم فعلا، فالشخص الذي نتجادل معه، يعتبر غريما، فنحن نهاجم موقفه، وندافع عن مواقفنا، ونربح أو نخسر المواقع، ونضع استراتيجيات، ونشغلها، وإذا وجدنا في موقف ضعيف فإننا نتركه، ونختار خطا دفاعيا جديدا. إن جزءا كبيرا من الأشياء، التي نقوم بها حين الجدال **يُبْنِيُنُها** تصور الحرب"[5].

إن الاستعارات التصورية تمثل حقائق جوهرية للفكر البشري، وأعتبُر أهمية الاشتغال عليها، أننا **نصدُر عنها** في جزء كبير من تجاربنا اليومية، وهذا ما يعتقده لايكوف وجونسن "إن جزءا هاما من تجاربنا وسلوكنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته. وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من ((حقائق)) أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن ((حقائق)) بصدد الفكر البشري، والنسق التصوري" [6].

وحقيقة أننا **نصدرُ عنها**، مفاده أن دور الاستعارة في فهم تجاربنا اليومية، شبيه باستخدامنا لحواسنا في إدراك ما يحيط بنا، حيث "إن القدرة على فهم التجربة عن طريق الاستعارة تعد **معنى** في حد ذاتها. وهي في ذلك مثل استخدام حاسة الرؤية أو حاسة اللمس، في حصول بعض الإدراكات، وهذا يعني أننا لا ندرك مظاهر العالم ومكوناته، ولا نباشر التجربة إلا عن طريق بعض الاستعارات"[7]

وأنا أعتبرها – في هذا المقام – مثل **علم القيافة**، الذي بوساطته يمكننا إدراك حقيقة من نقتفي أثره باستخدام حواسنا، من لمس، وشم، ورؤية، وغيرها... فكيف لصاحب القيافة، أن يعرف من آثار الجمل أنه أعرجٌ، أو أعورٌ من العين اليسرى، أو العين اليمنى، وأنه سمين أو هزيل، إلا باستخدام حواسه. هكذا هي الاستعارة، تجعلنا ندرك حقيقة من تصدر عنه. ومن أمثلة ما يوضح ذلك، قول الشاعر بشار بن برد:

يا قومُ أذُني لبعض الحي عاشقةٌ *** والأذنُ تعشقُ قبل العينِ أحيانَا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهمْ.*** الأذنُ كالعينِ توفي القلبَ ماكاناَ " [8]

ففي حالة الشاعر، بشار بن برد، يكون العشق عن طريق الأذن التي تنقل ذلك الإعجاب والانجذاب، إلى القلب، لا عن طريق العين، لأن شاعرنا **أعمى** وبالتالي، جسدت الاستعارة التصورية هنا حقيقة حالة الشاعر، الذي دافع مستميتا عن حالة عشقه، وصدقه في ذلك، حين لامه قومه عن هذيانه بمن لم يرَها. فأكد أن الأذن كالعين توصل المشاعر والأحاسيس الصادقة، لأن "التصور السائد أن العين تعشق، فنتحدث عن النظرة الأولى، ضياء المحبوبة وجمالها البصري، لكن الحديث عن الجمال الصوتي، والعشق من الصوت من الاستعارات الجديدة التي تولدت نتيجة حالة مخصوصة، يعيشها المتكلم"[9].

وبالتالي قد تتولد استعارات مبنية على معطيات خاصة بالمتكلم، **يصدر عنها** في كل مرة، تجعلنا ندرك حقيقة تفكيره، وحقيقة نسقه التصوري.

وقد ركز الدارسان على الاستعارات المستعملة في الخطاب اليومي (الاستعارات الحرفية)، لكن لم يمنعهم ذلك من الاشتغال – من حين لآخر – على الاستعارات المستعملة في الخطاب الأدبي (الاستعارات الجديدة أو المبدعة أو التخييلية). كالتي يستعملها بعض الصحفيين أو بعض السياسيين وغيرهم...

أصناف الاستعارات التصورية:

صنف الباحثان الاستعارات (استعارات الخطاب اليومي، أو الاستعارات المستعملة) إلى ثلاثة أصناف:

أولا – الاستعارات البنيوية: Structural Metaphor

اشتغل الدارسان في بداية الأمر، على هذا الصنف من الاستعارات حيث صرحا :"فحصنا لحد الآن، ما نسميه بالاستعارات البنيوية، ومفادها أن نبنين تصورا ما استعاريا بواسطة تصور آخر"[10]، حيث اعتبرا أن الاستعارات التصورية **تبنينُ** سلوكنا اليومي، وقد أعطيا مثالا على هذا الصنف من الاستعارات بالاستعارة التصورية (الزمن مال)، وكيف أنها تبنين سلوكنا اليومي، "ففي ثقافتنا يتجلى [التصور الاستعاري] الزمن مال بطرق مختلفة: في التسعيرات التلفزيونية، وأجور الساعات... "فنأخذ وقتنا الكافي". هذه الممارسات تبنين، بشكل عميق، سلوكاتنا اليومية الأساسية"[11]. وبالتالي نستعين في هذا الصنف من الاستعارة بمجال معين لفهم مجال آخر أكثر بنينة وتجذرا في حياتنا اليومية، أي"في نسقنا التجريبي الثقافي"[12]، فمن مجال المال فهمنا مجال الزمن.

ويرى الدارسان أن هذه **البنينة، جزئية**، وليست **كليّة**، حيث"تدل هذه الأمثلة على أن التصورات الاستعارية التي فحصناها لا تمدنا سوى بفهم جزئي ... لما هو الجدال، وما هو الزمن، وهي بهذا، تخفي مظاهر أخرى لهذه التصورات. إنه من المهم أن نفهم أن البنينة الاستعارية التي نتحدث عنها هنا جزئية وليست كلية"[13]. كما يمكن في هذا الصنف من التصورات أن يبأر مظهر واحد لتصور معين، ولا يتيح تبئير مظاهر أخرى في التصور نفسه، حيث"يمكن لتصور استعاري معين بإتاحته تبئير مظهر واحد لتصور معين (مثل المظاهر الحربية في الجدال) أن يمنعنا من تبئير مظاهر أخرى في هذا التصور لا تلائم هذه الاستعارة"[14]؛ وبهذا بُئِرَ مظهر الحرب لتصور الجدال، ولا يمكن أن نبئّرَ مظهرا آخر للتصور نفسه. بل ويُعدُ – في أغلب الأحيان – المظهر الوحيد الذي يعبر عن تصورنا في هذا المقام.

وكون هذه البنينة جزئية، فإنها تمنحنا – حسب الدارسين – القدرة على توسيع هذا التصور الاستعاري، لإنتاج تصورات إبداعية، أو تخييلية، أو مجازية، فـ"قد نُوسّع من جهة أخرى، التصورات الاستعارية فنخرج عن مجال طرق التفكير والتعبير الحرفية. وهنا نجد أنفسنا في المجال الذي نسميه الفكر واللغة المجازيين أو الشعريين، أو الملونين، أو التخييليين.. وبهذا فإننا عندما نقول إن تصورا ما قد بُنِيَ بواسطة استعارة. فإننا نعني أنه مبنين جزئيا، وأنه بالإمكان توسيعه من نواح معينة وليست من نواح أخرى"[15]. بمعنى أن هذه البنينة الجزئية، هي التي تيسر لنا الانتقال من الاستعارات الحرفية (استعارات الخطاب اليومي)، إلى الاستعارات التخييلية (الخاصة بالخطاب الأدبي والإبداعي) أي الجديدة، والمبدعَة.

ونستخلص مما سبق، أن **الاستعارة البنيوية** مجالها **التصورات/الفكر**، لا **الألفاظ والتراكيب/اللغة**، "ولهذا، فإن لايكوف يفصل في مقاربته بين التصورات الاستعارية، والعبارات الاستعارية. فالتصورات مجردة مجالها الذهن/الفكر، والعبارات مجالها الألفاظ، وهي وسيلة تواصل تتيح إظهار التصورات وفهمها وتبادلها"[16].

ومن التصورات المبنينة التي استخرجها لايكوف وجونسن:

الأفكار نباتات:[17]

1 – أما آن لأفكاره أن تعطي ثمارا ؟

2 – ماتت هذه الفكرة إذا لم تجد من يسقيها.

3– هذه أول ثمار هذه النظرية.

الاستعارات البنيوية في رواية: "عندما تشيخ الذئاب" لـ جمال ناجي.

1– الاستعارة التصورية (الجدال حرب):

عند قراءتنا لرواية "عندما تشيخ الذئاب" لصاحبها، جمال ناجي، تصادفنا الكثير من الاستعارات التصورية، البنيوية، مجسدة عبر تعبيرات مختلفة يقتضيها سياق النص، أذكر منها، الاستعارة التصورية، التي توقف عندها لايكوف وجونسن، وهي، استعارة "الجدال حرب"، هذه الاستعارة التي أعتبرها عابرة للثقافات، شأنها في ذلك شأن الأسطورة والمثل السائر، والحكمة، وغيرها من الأشكال التعبيرية، التي تعبر الحدود المكانية والزمانية وتخرق خصوصية الثقافات المختلفة، لتتعايش معها بسلام. هذه الاستعارة التصورية، التي تبنين تصور الجدال استعاريا من خلال تصور آخر، وهو الحرب. حيث لا يمكن – في هذا المقام – إلا أن نبئّر مظهر الحرب لمظهر الجدال، دونا عن المظاهر الأخرى، ففيها يكون: عدو وعُدّة وأسلحة، وخطّة حرب، وتبادل لهجمات أو طلقات. أو استفزازات، إذ تكون في بعض الأحيان، حربا باردة. وقد يتدخل، في الكثير من الأحيان، حليف أو أكثر، لفك النزاع أو لإشعال نار الفتنة.

وقد تكررت استعارة (الجدال حرب) في الرواية مرات عدة، حيث جاء:"لما بلغ عزمي عامه الثامن عشر، صار يضايقني، عن قصد، وبغير قصد، هذا ليس شغلي، المهم أنه صار يضايقني، لأنه يجادلني بحجج قوية تقنعني، فأغير رأيي. صحيح أنني وافقته على أمور كثيرة، كان رأيه صائبا فيها وأقوى من رأيي. ومدحته على شطارته، لكن الولد زادها، وصرت أشعر بالغيظ منه، لأن قدرتي على وزن الأمور تبلبلت بسببه، فخلق لي مشاكل مع حالي، وشوش أفكاري، ونظرتي إلى الدنيا، ولما تأكدت أنه فطين أكثر مني، تحول غيظي منه إلى عداء له، فصرت أضربه بخشبة، وصارت أمه جليلة تعيرني وتقول لي كلما ضربته بها "عصا المجنون خشبة". الظاهر أنه عرف كيف صرت أفكر، لأنه توقف عن تصحيحي ومجادلتي، وأفلح في تخفيف عدائي له، فشعرت بأنه قادر على إبطال مفعول غضبي منه. تمسكت بغيظي منه، لكي أشعره بأنني كشفته، فأكملت هجومي عليه. قلت له إن مصاريفه صارت تضايقني... لم يعلق، لكن أمه أخبرتني أنه لن يقبل مني قرشا واحدا بعدها، فقلت له بلا تفكير: أحسن..."[18].

في هذه الفقرة يُبْنَيَنُ تصور الجدال بين الأب والابن من خلال تصور الحرب، وكأننا أمام مشهد حرب بينهما، وأن هذه الحرب كانت في البداية حربا باردة "يجادلني بحجج قوية تقنعني فأغير رأيي"، وكانت الغلبة في هذه الحرب الباردة للطرف الثاني "الابن"، "صحيح أنني وافقته على أمور كثيرة كان رأيه صائبا فيها، وأقوى من رأيي"، ثم بدأت الحرب تتخذ مسارا آخر بسبب تمادي الطرف الثاني في استفزازاته"لكن الولد زادها، وصرت أشعر بالغيظ منه..." فهذا العدو الذي يتسم بالحنكة والدهاء"كان رأيه صائبا فيها، وأقوى من رأيي...مدحته على شطارته" تمادى، ونشبت الحرب القتالية هذه المرة "تحول غيظي منه إلى عداء له، فصرت أضربه بخشبة ..." وتدخل حليف الطرف الثاني(الأم) كي يستفز الطرف الأول ويحبط من معنوياته"وصارت أمه جليلة تعيرني وتقول لي..." وفجأة توقف الطرف الثاني عن المواجهة، وحتى عن محاولات الاستفزاز"الظاهر أنه عرف كيف صرت أفكر، لأنه توقف عن تصحيحي ومجادلتي... وأفلح في تخفيف عدائي له، فشعرت أنه قادر على إبطال مفعول غضبي منه"، ولكن لم يلبث الطرف الأول أن عاود الهجوم مجددا "تمسكت بغيظي منه لكي أشعره بأنني كشفته فأكملت هجومي عليه، قلت له أن مصاريفه صارت تضايقني" رغم هذا، بقي الطرف الثاني بمنأى عن المواجهة والتصدي، وفضل الانسحاب، ليترك ساحة المعركة لحليفه الأقوى منه والذي يجيد لعبة الحرب الباردة "لم يعلق، لكن أمه أخبرتني أنه لن يقبل مني فلسا واحدا بعدها ... "وانسحب بدوره الطرف الأول "فقلت له بلا تفكير، أحسن".

إن استعارة كهذه أعتبرها،أخلاقية بالدرجة الأولى، حيث، تترجم مسارا سلوكيا نفكر ونتصرف من خلاله، قد يكون متجذّرا في ثقافتنا العربية والإسلامية، وقد يكون دخيلا عليها، اكتسبناه مع مرور الزمن وساهمت في ذلك جملة من العوامل والظروف، كأي سلوك آخر دخيل.لأن "نسقنا التصوري ليس من الأشياء التي نعيها بشكل عادي. إننا، في جل التفاصيل التي نسلكها في حياتنا اليومية، نفكر ونتحرك بطريقة أقل أو أكثر آلية، وذلك تبعا لمسارات سلوكية ليس من السهل القبض عليها"[19].

وأكد أنها استعارة تصورية محكومة بخطاطة الأخلاق، كونها تترجم سلوكنا في فعل بشري كان الأولى أن يكون سلميا، مهذبا "وجادلهم بالتي هي أحسن" لكن، واعتبارا لبعض العوامل، صارت استعارة (الجدال حرب)، تعكس مسارنا التصوري لمثل هذا السلوك اليومي(الجدال)، والشاهد الذي سبق ذكره بالتفصيل يجسد هذا الزعم، حيث، يجادل الابن أباه، ويقاتله، استعاريا، حين كان الشأن في هذا هو عدم المجادلة أصلا، أو المجادلة بالتي هي أحسن وليس بالقتال، وأساليبه. والأمر واضح في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا، فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (سورة الإسراء، الآية:23).

وثقافتنا العربية الإسلامية الأصيلة، تؤكد أن الابن يقدم الولاء لوالده لا يناقشه ولا يجادله، والأمثلة كثيرة في الأثر، أهمها، رضوخ سيدنا إسماعيل عليه السلام، لطلب أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام، والأمر واضح في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة الصافات، الآية:102).

والأمر نفسه في الجدال بين الأم وأبنائها، والدليل على ذلك الأرقام المخيفة التي ترصد الجرائم المرتكبة من طرف الفروع للأصول، أي الأبناء ضد آبائهم، والتي لا محالة تبدأ بجدال (الجدال حرب) لتنتهي بالضرب، أو القتل. والاستعارة التصورية (الجدال حرب) لا تقتصر – في الرواية – على مثل هذه الحالة وإنما شملت أيضا، جدال الزوج مع زوجته، وجدال الأقارب مع بعضهم البعض، وجدال السياسيين أيضا، واستطاع الروائي أن يصور لنا، وبكل جدارة، تسرب مثل هذا السلوك في الجدال بين مختلف الأطراف، إلى مجتمعاتنا العربية الإسلامية، وبالتحديد، بلد الأردن، ليكون عينة توضيحية عن مجتمعاتنا العربية بدون استثناء. وشخصية الابن المجادل لأبيه /المحارب له، ما هو إلا ذئب من تلك الذئاب الشرسة التي حملت بداخلها كل أنواع المكر والخداع والزيف والإيهام، لكنها استسلمت في النهاية، وأعلنت انهزامها، وانسحبت بهدوء، لتترك كل متاع الدنيا، وتتنسك، وتختار البقاع المقدسة للطهارة من الدنس.

وهنالك العديد من العبارات الاستعارية، التي عكست الاستعارة التصورية (الجدال حرب) في الرواية، أرصدها تباعا على النحو التالي:

- "تقاتلت معها عدة مرات لأنني...أفضفض البزر، وأرمي القشر وغيره في كل مكان ... هذا جزء من حريتي، ولا يحق لها أن تتدخل في هذه الحرية"[20] (جدال/قتال، الزوج مع زوجته/العدو، لأنها تحاول تطبيط حريته).
- "لكنه تغير فجأة، تدوّرت عيناه واحمرّت خدوده، وصار يصيح كأنه في معركة حامية الوطيس "أيها الجني الصائل الجائر المعتدي على الإنس ومساكنهم، اذهب إلى خرائبك، وودياتك قبل أن ألهب النار في بدنك". ثم سكت وظهر عليه أنه يسمع الجني، فحضر حاله ورد بقسوة وهو يلهث"ما تقوله افتراء .. الله سبحانه وتعالى لا يسمح لك ولبني جنسك بدخول بيوت المؤمنين من الإنس والعيش فيها بغير إذنهم" لكن أم عزمي شفيت من حالتها بعد أيام، وما عادت تحكي عن الجني"[21] (جداله مع الجني/قتاله مع العدو، باستخدام القرآن الكريم والحجج الدينية/الأسلحة، جعله يوفق في علاج أم عزمي/ربح المعركة).
- "كما أنه كان يجد صعوبة في نسيان خلافاته السابقة مع السياسيين الآخرين، التي كانت تنشب في المواقع النقابية، وأندية خريجي الجامعات، والتجمعات الثقافية والشعبية ... يستثنى من تلك، طبعا، حالات اللجوء الفكري الصارخ، التي حدثت مع عدد قليل من الرفاق السابقين.. جماعة الإخوان المسلمين"[22] (الجدالات بين السياسيين .../الحرب، في مواقع نقابية وغيرها/مواقع نشوب الحرب والهجومات، حالات اللجوء الفكري/اللجوء السياسي).

2– الاستعارة التصورية (الزمن مال):

وهنالك استعارة بنيوية، أخرى، ناقشها لايكوف وجونسن، هي استعارة (الزمن مال): والتي يُبْنَيَنُ فيها تصور الزمن استعاريا بتصور آخر وهو المال. حيث جاءت في الرواية، على النحو التالي: "عادت رابعة تقرأ، فقد امتلكت ما يكفي من الوقت كي تلتقط أنفاسها في مكان هادئ هو منزلنا الجديد.. "[23] .

هنالك علاقة بين تصور الزمن وتصور المال، فـ "الزمن في ثقافتنا، عبارة عن بضاعة ذات قيمة، فهو مورد محدود، من حيث كمه، ونستعمله لتحقيق مآربنا .. لأن المال يعد في مجتمعنا موردا محدودا، والموارد المحدودة [بدورها] بضائع ثمينة"[24] .

وحين كان تصور الزمن موردا محدودا فقد بُنِيَ على تصور المال الذي هو مورد محدود أيضا، وحين كانت الاستعارة التصورية (الزمن مال)، استعارة عابرة للثقافات، فقد تجلت في الرواية، من خلال العبارة الاستعارية "امتلكَتْ ما يكفي من الوقت" والتي أحالتنا بصورة خاصة على البضائع الثمينة، وهي إحدى استلزامات الاستعارة التي يمكن أن تخصص نسقا منسجما من العبارات الاستعارية التي تقابل هذا التصور"[25]. من مثل ما جاء تكملة للعبارة السابقة، "صارت تقرأ الصحف المحلية، ومجلات حواء المصرية .. وتتابع الموضات والأزياء .. إضافة إلى قضايا المرأة، والروايات .. كما اعتادت تسريح شعرها مرتين كل أسبوع في صالون كارلو .. وتضع على وجهها مساحيق (البوبا الايطالية) .. وتصبغ أظافرها .. وترتدي بنطالات (برمودا) .. وتنتقي أحذية ذات كعوب مسمارية .. فأصرت على اقتناء قط شيرازي..."[26]. فبامتلاكنا للزمن/مال نكون قد امتلكنا إنجازات/بضائع، من مثل(صارت تقرأ.. وتتابع الموضات .. اعتادت تسريح شعرها ...وتضع على وجهها.. وتنتقي أحذية..).

إضافة إلى ما سبق، فهناك الكثير من الاستعارات التصورية البنيوية في الرواية، منها:

3- الاستعارة التصورية (النظريات والاستدلالات بنايات):

- "لقد خصصت له حجرة في عقلي..."[27].
- "لكنها في كل الأحوال تظل جزءا من تاريخنا ...وإذا كنت قد فشلت في ردم أحداث تلك تلك الأعوام وإقصائها من ذاكرتي..."[28].
- "شغل الجنزير وعزمي حيزا كبيرا في تفكيري ... لقد تحولا إلى رجلين مغلقين على ما لديهما من خفايا"[29].

4- استعارة التصورية (الأفكار بضائع):

- "تبادلنا الزيارات والأفكار والحوارات حول القضايا وبدا على وجهه التفكير في أمرها"[30].

5- الاستعارة التصورية (الأفكار أشخاص):

- "لا أستطيع الجزم بأن توقعها هذا كان مصيبا..."[31].
- "لم أتنكر لأفكاري التي حملتها منذ صباي، ولم أتنصل من التزامي السياسي إزاء الكادحين.."[32].
- "صوت في أعماقي كان يقول لي إن رجلا سيطرق بابي عما قريب"[33].
- "خصوصا أن الشكوك بدأت تراودني، حول وجود صلة بينه وبين طرف أو أطراف في الحكومة"[34].
- "استفزتني فكرة خيانته لي ..."[35].

6- الاستعارة التصورية (الأفكار نباتات):

- "العقل زرع..."[36].
- "سبحان الله. عزمي استطاع أن يتحكم بنفسه ويغذيها ويسيرها حسبما شاء عقله الذي نما وأثمر قبل أوانه"[37].

7- الاستعارة التصورية (الحياة لعبة (صدفة أو قمار)):

- "يحدث أن تمارس الحياة لعبتها مع البعض، بطريقة لا تنم عن حكمة أو وعي. فتتنافر مساراتها أو تتشابك ثم يأتيك من يقول، بأن لعبة الحياة صممت على هذا النحو..."[38].
- "لقد حققت انتصاري في هذه الحياة..."[39].

8- الاستعارة التصورية (الثروات أشياء مخفية):

- "المحاولات المحمومة التي بدلها عدد من رفاقي السابقين... لمعرفة مصدر الأموال التي نقلتني من مستنقع ذلك الحي في جبل الجوفة إلى بيتي الحالي"[40].
- "أما المناطق الخاصة الخضراء .. وغيرها ..تسرب إليها وتملكها كثيرون من الوزراء، والمسؤولين رفيعي المستوى... وتكتم سكانها على أعمالهم وأسرارهم، وإخفائهم مظاهر البذخ"[41].

9- الاستعارة التصورية (العيون أوعية للإحساس):

- " ونظراته صارت لينة مخذولة"[42].
- "ورأيت في عينيه نظرات توحي بالوداع"[43].
- "نظرت ابنته إلي بعينين تفيضان ندما واعتذارا من دون أن تنطق"[44].
- " لقد رأيت في عينيها حنينا متكسرا للفرح، فأحسست بفداحة الظلم الذي تمارسه الحياة على أبناءها"[45].

10- الاستعارة التصورية (الحالات الفيزيائية والعاطفية، كيانات داخل الشخص):

- "بعض الظن إثم لكنني قبضت على نواياه من كلامه، واستنبطت كتلة السواد في قلبه"[46].
- "كانوا منساقين وراء عنفوانهم"[47].
- "فقد تولد لدي منذ زيارتي الأولى إلى قبر رسول الله حنين روحي، ظل يشدني إلى تلك الأرض الطاهرة"[48].

11- الاستعارة التصورية (الرؤية لمس والعيون أعضاء من الجسم[مثل الأطراف]):

- "سبحان الله، العيون تنطق، أحيانا، بما يخجل اللسان أو يعجز عن قوله، وعينا حليمة نطقت كلاما كثيرا حين نظرت إلي... تلك المرأة التي ناطقتني بعينيها لا بلسانها"[49].

– "عيناه المكحلتان بثتا في روحي وجسدي أحاسيس وخلجات مبهمة، إنهما مجهريتان، تكادان تعرياني من ملابسي، وتدعواني إلى لملمة نفسي خشية انكشافي أمامهما"[50].

12– الاستعارة التصورية (الأثر العاطفي اتصال فيزيائي):

– "إلا أنني أجد مشكلة لديها، مشكلة التنافر السالب مع بنات جنسها ممن يطلق عليهن (زوجات الإخوة، السلفات، أخوات الأزواج .. "[51].

– "دهمني الحرج أمام جليلة ورابعة، وتحول وجودي في نهاية تلك الدعوة، إلى مجرد ملطف للأجواء، التي تكهربت مع أنني لا أحب الملطفات التي يستخدمونها في البيوت وخارجها، وأشعر أنها تنطوي على نوع من الغش والخديعة... لأنها تطغى على الروائح الكريهة، أو المسمومة، ويحفل الناس يستنشقونها بمعية الملطفات ذات الروائح الربحية، فيصابون بالغثيان أو الأمراض"[52].

ثانيا– الاستعارة الاتجاهية: Orientational Metaphor

وهي صنف مختلف عن الصنف الأول (الاستعارة البنيوية)، هذا الصنف من الاستعارات لا يقوم على عملية البنينة الموضحة في الصنف الأول، حيث "لا يبنين فيه تصور ما عن طريق تصور آخر، ولكنه على عكس ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة"[53]. وسميت هذه الاستعارات بالاستعارات الاتجاهية كونها مرتبطة أساسا بالاتجاه الفضائي، من مثل: عال – مستفل، داخل – خارج، أمام – وراء، فوق – تحت، عميق – سطحي، مركزي – هامشي، ارتباطا بحسب كيفية اشتغال أجسادنا في المحيط الفيزيائي الذي نعيش فيه[54].

وربط الدارسان الاستعارات الاتجاهية بما يقابلها في تجربتنا الفيزيائية والثقافية، حيث تشترك التقابلات الفيزيائية: تحت – فوق، داخل – خارج ... وغيرها، في كونها ذات طبيعة فيزيائية موحدة إلا أن الاستعارات الاتجاهية التي **تنبني** عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى[55].

ومن أمثلة الاستعارات الاتجاهية التي قدمها الدارسان:

– السعادة فوق، والشقاء تحت:

1 – إنني في قمة السعادة.

2 – لقد رفع من معنوياتي.

فهذا "التوجه الفضائي، الناظم لهذا النوع من الفهم الاستعاري، ينضبط لقواعد تجريبية وثقافية، تمنحه الانسجام والقصدية، وتنأى به عن مجال التنافر والاعتباطية"[56].

ومن أمثلة الاستعارات الاتجاهية من واقعنا العربي، والتي تندرج تحت الاستعارة الاتجاهية (الجيد فوق والرديء تحت). العبارات التالية :

1 – أشهر من نار على علم.

2 – جميلك فوق رأسي.

3 – من طلب العلا سهر الليالي.

4 – الشعوب المستعمَرَة تعيش تحت خط الفقر.

5 – أنا لا أقبل بإنزال مستواي.

6 – من الخجل وددت الدخول تحت الأرض.

فقولنا"الجيد فوق" هو الذي يبرر "جميلك فوق رأسي" وهو الذي يضفي على خصلة الجميل أو المعروف، قيمة الجيد والحميد، على سبيل التعميم داخل نسق ثقافي خاص بمجتمعنا، لا يمكن أن نتصور فيه عكس ذلك، وبالتالي لا يمكن أبدا أن تكون عبارة "أشهر من نار على علم" بمعنى الرداءة.

– الاستعارة الاتجاهية في رواية (عندما تشيخ الذئاب)، لجمال ناجي:

الاستعارة الاتجاهية (الجيد فوق والرديء تحت):

ارتبطت الاستعارة الاتجاهية في الرواية، بشخصيات عديدة منها، شخصيات احتلت الحيز (فوق)، وأخرى (تحت)، من خلال مراتبها، أو سلوكها، أو توجهاتها، وغيرها.. وما هو متعارف عليه، أن الجيد دوما فوق. من مثل: السعادة، والأمل، والمستقبل الزاهر، والعمل بإتقان، والعلم النافع، وغيرها.

وحين تحدث الله تعالى عن الهداية والضلالة، قال في محكم تنزيله ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[57]. (فالهداية فوق، والضلالة تحت)

وتحدث الرسول ﷺ عن السعي وراء الرزق والاستعفاف عن مسألة الناس، قال:"اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَبَدْأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفِهِ اللهُ" . (فالعمل والاستعفاف فوق، والخمول والتوكل على الغير تحت).

أما في تصورنا للجيد والرديء، فما تعلق بالصفات والأخلاق والقيم، أي ما هو معنوي، فهو صادق، أما ما تعلق بالأشخاص والمظاهر، فعادة ما يكون فيه جانب من المغالطة، فليس بالضرورة ارتباط الـ(الجيد) بالشخص الجيد فعلا، ولا (الرديء) بالشخص الرديء فعلا، إنما قد ننظر للغني أنه (فوق)، رغم أنه قد يكون مختلسا، أو محتالا، أو انتهازيا، وغيرها. وقد ننظر للفقير أنه (تحت)، رغم تحليه بالعفة والكرامة وعزة النفس، والكدح، وغيرها..

وتتجلى استعارة (**الجيد فوق**) في الرواية فيما يلي:"أفهمت عزمي أن استعجال الرجولة أمر محمود، لكن صعود السلم يتم درجة درجة. فأجابني :بعض الناس، يصعدون ثلاث أو أربع درجات على السلم في كل مرة"[58].

فالصعود هنا (فوق)، معناه اكتمال الرجولة، والنضج، والنجاح، والبروز.. ولكن بشرط أن يكون بتأن وروية، وليس بتسرع، لأن العواقب ستكون وخيمة، فليس (الفوق/الصعود) دائما (جيد).

لكن وجود الأم التي ساهمت في دلاله المبالغ فيه، جعله لا يستمع لنصائح أبيه. فجاءت استعارة (**الرديء تحت**)، التي تحيل إلى أن عزمي كان سبب خلاف والديه "أكثر مشاكلي مع أمه جليلة كانت من تحت رأسه وبسببه، فقد اهتمت به أكثر من اللزوم"[59]. فالتسرّع في صعود سلم الرجولة، نتجت عنه الرّداءة في معاملة الوالد.

ولأن الابن تسرع في صعود سلم الرجولة، فقد تدين والتحق بجماعة إخوانية، وتسلم مهاما أكبر من سنه، وهو لا يزال في العشرين من عمره، كتوليه مهمة توزيع الصدقات على المعوزين من صندوق الزكاة والتبرعات. فصار عزمي من (نخبة)تلاميذ الشيخ، ولهذا عرفه على أشخاص من نخبة المجتمع. وجاءت استعارة (**النخبة فوق**)، كما يلي:"كما قام الجنزير بتعريف عزمي على كثير من الشخصيات المعروفة والعامة في اللقاءات... رفيعة المستوى"[60]. ثم ما لبث أن صار عزمي رجل أعمال يحسب حسابه، وهذا ما تؤكده الاستعارة التصورية (**الجيد فوق**)، "سطع نجم عزمي في المزرعة وخارجها، صار معروفا، وموضوع حديث المسؤولين والمستثمرين، ورجال الأعمال الذين التقيتهم من حين لآخر.."[61].

وارتبطت شخصية عزمي في كل مرة بالاستعارة الاتجاهية (**الجيد فوق**)، حيث صار لديه قوة وهيمنة في منصبه الذي تولاه في الجمعيات الخيرية، وفي تجارته التي لا يُعرف مصدر تمويلها، فجاءت الاستعارة التصورية (**الهيمنة فوق، والخضوع تحت**)، "قلت في نفسي لقد علا عزمي وارتفع كثيرا . ثم تراءى لي واقفا على حافة شاهقة في مرتفع الحياة. وعزمي يخاف الأماكن المرتفعة منذ طفولته"[62].

إذن، رؤيا الشيخ الجنزير، لها مدلولها، فالارتفاع والارتقاء في الهيمنة والقوة، إن لم يكن متزنا، محسوبا له، أدى بصاحبه إلى السقوط في الهاوية، وحين لم يسمع عزمي لنصيحة والده، وكان صعوده في سلم الارتقاء سريعا، أفضى به ذلك، إلى التوجه وجهة (**الرديء تحت**). حيث، أن عزمي، المعروف بتدينه وورعه، وعقلانيته في إدارة الأمور سواء الخيرية أو التجارية، ما هو إلا رجل زانٍ مع إحدى المحارم (زوجة أبيه السابقة). وما هو إلا رجل مفتش عنه من طرف أمن الدولة "كان علينا أن نلقي القبض على المدعو عزمي الوجيه حتى لو لم يبقى منا واحد على قيد الحياة"[63]. وبالتالي تحققت مقولة أبيه، وتحققت رؤيا الشيخ، وتحققت الاستعارة الاتجاهية (الرديء تحت). حيث لم يكن عزمي وأشباهه من الفئة (الجيدة)، في المجتمع، ولم يكن من (النخبة)، بل كان العكس من ذلك، فقد حمل (الرداءة) في جوهره، وكان يجسد الخضوع للمادة والشهوة.

واستعارة (**الجيد فوق، الرديء تحت**) استعارة كشفت لنا حقيقة معظم شخصيات الرواية فكانت تتراءى لنا من خلال الاستعارة (الجيد فوق/الذئاب في عنفوانها) حيث كانت ذئابا مفترسة بنفوذها المادي والاجتماعي والسياسي، ثم ما لبثت أن انكشفت وباتت ضمن الاستعارة(الرديء تحت/عندما شاخت الذئاب). وظهر خبثها، وزيفها، وذلها. وهذا حال تصورنا لبعض أفراد المجتمع.

ثالثا – الاستعارة الأنطولوجية: Ontological Metaphor

يرى لايكوف وجونسون، أن الاستعارات الاتجاهية على الرغم من أنّها تمدّنا بأساس غني جدا لفهم التصورات بواسطة الاتجاه (كاستعارات الكيان والمادة)، فوق . تحت، أمام – خلف، أعلى – أسفل... إلخ، إلا أنها غير كافية، بل يتطلب الأمر أخذ الأشياء الفيزيائية بعين الاعتبار لتكملة الفهم، حيث"أنّه بقدر ما تنتجُ التجارب الأساسية للتوجه الفضائي الإنساني استعارات اتجاهية، تكون تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية (وبخاصة أجسادنا) مصدرا لأسس استعارات أنطولوجية متنوعة جدا، أي [أنها تعطي] طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار ...إلخ، باعتبارها كيانات ومواد"[64].

فالاستعارة الأنطولوجية تتجلى واضحة "حين نتمكن من تعيين(Identify) تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد، فإنه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومَقْوَلَتُهَا (Categorize)، وتجميعها، وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا"[65].

ومثّل الدارسان لذلك بتجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعتبر استعاريا كيانا نسميه (التضخم)، وبهذا نجد طريقة للإحالة على هذه التجربة:

1 – التضخم كيان.

2 – التضخم يخفض مستوى عيشنا.

3 – إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش.

4 – يجب محاربة التضخم.

وبالتالي، يمكن اعتبار التضخم كيانا، بالإحالة عليه، وتكميمه، وبأن نعين منه جزءا خاصا، وبأن نرى فيه سببا، وبأن نتصرف بحيطة إزاءه، وربما بأن نعتقد أننا نفهمه[66].

وكسابقتها من الاستعارات الاتجاهية، تبقى الاستعارات الأنطولوجية تخدم مجموعة محدودة من الحاجات، كأن نحيل، أو نكمم .. إلخ. لكن باستطاعتنا تطويرها إلى استعارات عديدة، نعتبرها نحن من البديهيات، كما تُعتبرُ أوصافا مباشرة للظواهر الذهنية، ولا يخطر ببال جلنا أن الأمر يتعلق بتصورات استعارية، مثل قولنا: "لقد انهار تحت الضغط"[67].

كما أضاف الدّارسان نوعا ثانٍ من الاستعارات الأنطولوجية، هو (استعارات الوعاء) الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أصناف، وهي على التوالي: (استعارات الأقاليم الأرضية: Territorial lands)، و(استعارات مجال الرؤية)، و(استعارات الأحداث، والأنشطة، والأعمال والحالات) ... إننا نتصور حقلنا البصري وعاء، ونتصور ما نراه موجودا داخل هذا الحقل ... ونستخدم الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث (events)، والأعمال (actions)، والأنشطة (activities)، والحالات (states). إننا نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها أشياء، والأنشطة باعتبارها مواد، والحالات باعتبارها أوعية"[68].

الاستعارات الأنطولوجية في رواية "عندما تشيخ الذئاب" لـ جمال ناجي:

استعارة الوعاء:

وقد تجلت الاستعارة الأنطولوجية (**استعارة الوعاء**) في الرواية، من خلال تصور الإنسان نفسه داخل وعاء الحياة حيت يتحرك ويتنفس ويتواصل مع محيطه... وتختلف أوعية الحياة، حيث تعتبر الحياة المادية وعاء، وتعتبر الحياة الدينية (الروحية) وعاء، وتعتبر الحياة الاجتماعية وعاء، وكذلك الحياة السياسية والحياة المادية، والحياة الجنسية.. وغيرها. ويستطيع الشخص الواحد أن يتصور نفسه في وعاء من هذه الأوعية وما يلبث أن يخرج من وعاء إلى آخر ليدخل في غيره، أو يعود إليه بعد حين. وذلك لسبب من الأسباب. والأمثلة في الرواية عديدة، ومنها (جبران) الذي وجد نفسه داخل وعاء الحياة المادية "... على الأقل في تلك الأيام الحاسمة من حياتي المادية"[69]، هذا الوعاء الذي حسده عنه الكثيرون، والذي أثار فضولهم طويلا، فجبران انتقل من حياة الفقر والبؤس إلى حياة المادة والغنى، والتي أبهرت الكثيرين، من بينهم أبو عزمي زوج أخته "أبو عزمي كان ينظر بانبهار، إلى الأعمدة والعقود والثريات الكريستال العتيقة الضخمة في صالة الطعام المفتوحة على الصالون الواسع..."[70]. وأقر جبران أنه اغترف من هذه الحياة المادية حتى الثمالة "يمكنني الإقرار بأنني اغترفت من ملذات هذه الحياة ما يكفي ويزيد، سافرت كثيرا ولم أردع نفسي عن فعل ما تشتهيه، جمعت مالا كثيرا عن طريق استثماراتي في ثلاثة مصانع... إضافة إلى التداولات بالعملات والأسهم والعقارات التي حققت لي أرباحا كثير ..ارتديت من الملابس ما غلا ثمنه.. أثثت بيتي بأثاث معتق استوردته.. استخدمت العطور الفرنسية الفاخرة.. عشت وزوجتي بمستي يزيد كثيرا عما كنت أتخيل ...وأصبت بتخمة الترف"[71].

وهنالك أيضا الاستعارة التصورية (**الحياة وعاء**)، ولكن هذه المرة هي وعاء للذة والسعادة، حيث أقرت سندس عاشقة عزمي بذلك"في ذلك أعادني عزمي إلى الحياة من جديد .. فقد فعل بي كل ما .. ولقد نسيت زوجي صبري، غابت صورته تماما في غمرة تلك الساعات المحمومة"[72].

وبات وصالها مع عزمي من حين لآخر، بمثابة العودة من وعاء الموت إلى وعاء الحياة "... كل هذا أدى إلى رجوعي إلى جسدي، وأيقظ شهواتي، ودفعني نحو عزمي الذي توقعت أن يفهم سبب زيارتي له ... أن يعيدني إلى الحياة، ويخرجني من دوامة الموت التي أحاطت بي.. عزمي الذي أعادني إلى الحياة وفلح أثلام جسدي وروحي وعقلي"[73].

كذلك تجلت الاستعارة التصورية (**الحياة وعاء**)، من خلال كونها وعاء أسرار، فالإنسان يتموضع في بعض الأحيان داخل حياة مليئة بالأسرار تكون وعاء خاصا به وحده، ولهذا يكون إنسانا غامضا بالنسبة لغيره، وإذا حدث وكشفنا بعضا من هذه الأسرار فإننا إما نتقبلها، أو نصدم منها، أو نصاب بخيبة أمل .. وسندس صدمت حين اكتشفت الحياة السرية لعزمي"حين عاد عزمي إلى شقتي بعد أيام، كنت قد تعرفت على كثير من خفايا حياته فاجأتني وأحدثت انهيارات في أعماقي. سمعتها بأذني، لكنها أعانتني على التخلص من الأوهام وعوالق الماضي"[74].

وتجلت كذلك استعارة (**الحياة وعاء**) من خلال (**الحياة السياسية وعاء**)، هذا الوعاء الذي يجد المرء نفسه بداخله في فترة من الفترات، سواء كان فردا عاديا، أم منتميا إلى حزب من الأحزاب السياسية، أو متوليا منصبا سياسيا في الدولة، وقد جاء في الرواية "أمثل تيارا متجذرا في الحياة السياسية"[75]، ومن الاستلزامات الاستعارية لهذه الاستعارة هي (**الحكومة وعاء**). ويجد الرجل السياسي نفسه داخل هذا الوعاء ملزما مقيدا بمتطلباته "لا فائدة من مواجهة الحكومات يجب أن نعمل من داخلها، لإجراء التغيير الذي كنا نطالب به ونحن في السجون وخارجها "[76]. وجاء في نفس السياق أيضا "إنه تيار اليسار الذي سيتم إرضاءه وإشراكه في الحكومة ... لإيهامهم أن الحكومة تضم واحدا منهم"[77].

إضافة إلى ما تقدم، أدرج لايكوف وجونسون نوعا آخر من الاستعارات ضمن الاستعارة الأنطولوجية، ألا وهي: استعارة التشخيص (Personnification)؛ تلك التي نشخص فيها الأشياء التي من حولنا كما لو أنها شخص، "وهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز، أو الخصائص والأنشطة. وفيما يلي بعض الأمثلة: – لقد خدعتني الحياة / – التضخم يلتهم كل إمكانياته/ – ديانته تحرم عليه شرب الخمر."[78]

وقد يصل بنا الحد، في بعض الأحيان إلى اعتبار استعارات التشخيص الوسيلة الوحيدة لإعطاء معنى ما للظاهرة المحيطة بنا عن طريق تشخيصها، ومن أمثلة واقعنا المعيش: (المشاكل تخنقني)، – (قتله الخوف). ففي مثل هاتين الاستعارتين التشخيصيتين لا نجد تعبيرا بديلا عنهما أو أبلغ منهما. ذلك أننا "نسند خصائص بشرية إلى أشياء غير بشرية، كالنظريات والأمراض، والتضخم...إلخ. وفي هذه الحالات لا نحيل على كائنات بشرية واقعية"[79] .

الاستعارات التشخيصية في رواية "عندما تشيخ الذئاب" لـ جمال ناجي:

جاءت الاستعارة التشخيصية في الرواية من خلال عبارات استعارية كثيرة أقدم منها ما يلي:

- "فالفساد لا يحارب إلا بالسيف ..."[80]. (تمَّ تشخيص الفساد)
- "في اليوم التالي انقلبت البلد وأقامت الصحافة الدنيا ولم تقعدها"[81]. (تمَّ تشخيص البلد وكذلك الصحافة).
- "فقرقر ضاحكا متحررا من سطوة ماض كان يئنُّ تحت وطئته"[82]. (تمَّ تشخيص الماضي)
- "في مقاييس الزمن، فإن عدم التقدم يعد تراجعا، لأن الزمن ليس ساكنا، إنما يسير إلى الأمام"[83]. (تمَّ تشخيص الزمن)
- "وفوجئت أن ذلك الحيّ أكثر بؤسا مما تحتمل الحياة"[84]. (تمَّ تشخيص الحيّ، وكذلك الحياة)

- "صارت ذاكرتي تتقيأ الكثير من الصور والأحداث والكلمات والأوهام التي احتلتها سنوات طويلة"[85]. (تمَّ تشخيص الذاكرة، وكذلك الصور والأحداث والكلمات والأوهام).

تجدر الإشارة إلى أن لايكوف وجونسون قد صنفا الاستعارة التصورية إلى ثلاثة أصناف إلا أنهما – خلال حديثهما عن كل صنف – يذكران عملية **البَنْيَنَة** في كل تصور استعاري، حتى ولو كانت عملية البنينة جزئية، وهذا ما يجعلني أميل إلى النقد الذي قدمته الدارسة وسيمة نجاح مصمودي بهذا الخصوص، في قولها: "هذا التصنيف الثلاثي – في رأينا – تصنيف داخل نوع واحد من الاستعارة، وهو الاستعارة البنيوية، فما سماه لايكوف وجونسن استعارة اتجاهية هو في حد ذاته استعارة أنطولوجية، لأن أمثلة التصورات الاستعارية الاتجاهية التي قدماها مثل (السعادة أعلى والشقاء تحت، الصحة والحياة فوق، والمرض والموت تحت، الوعي فوق واللاوعي تحت...) قائمة على معاملة المجرد معاملة المحسوس، الذي له فوق وتحت. لكن إذا تأملنا في العبارات الاستعارية التي تتضمن هذه التصورات الاستعارية الاتجاهية مثل "إنني في قمة السعادة"، و"التفكير فيها يرمي بي في الهاوية"، و"لقد هوى من المرض"، وجدنا أنه وقعت استعارة تصور الجبل للسعادة في المثال الأول، والهاوية للشقاء في الثاني، والمسيرة للحياة في الثالث، فهي إذن استعارات قامت على **بنينة** تصور مجرد عن طريق تصور آخر مدرك بالحواس وله اتجاهان أعلى وآخر أسفل، ولذا نقول إنها **استعارات أنطولوجية بنيوية** بما أنها تبنين تصورا ما بواسطة تصور آخر، سواء كان شخصا أو وعاء أو شيئا ما، يُعين ويحالُ إليه ويكممُ. فالاستعارة بصفة عامة عملية ذهنية تبنين تصورا ما من خلال تصور آخر، فالمفهوم الأساسي المتعلق بالاستعارة عند لايكوف وجونسن هو **البنينة**"[86]. وقد ركز لايكوف وجونسن على الاستعارات الحرفية أو اليومية أو المسكوكة – على حد تعبيرهما – لأنها جزء لا يتجزأ من نسقنا التصوري.

خاتمة:

كانت الرواية رهن الدراسة، رواية استعارية بامتياز، حيث شملت زخما من الاستعارات التصورية بأنماطها المختلفة، وفق أنساق ثقافية واجتماعية تولدت من رحم مجتمع عربي إسلامي، زاخر بأحلام وطموحات مشروعة وغير مشروعة، مثلتها شخصيات مختلفة، أظهرت الاستعارات طريقة تفكيرها ، ورؤيتها للعالم من حولها، وجسدت الاستعارات في الرواية ما فضل لايكوف وجونسن تسميتها به، استعارات يحيا بها عالمنا العربي .

الهوامش والإحالات:

1- جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد حجفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2009، المغرب، ص 23.

2- عبد الباسط لكراري، دينامية الخيال. مفاهيم وآليات الاشتغال، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 2004، الرباط، ص 12.

3- جورج لايكوف ومارك جونسن، ص 23.

4- المرجع نفسه، ص 22.

5- المرجع نفسه، ص 22.

6- المرجع نفسه، ص12.

7- المرجع نفسه، ص.ن.

8- ديوان بشار بن برد، شرح وتكميل مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، تحقيق رفعت فتح الله ومُحَمَّد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط 1، 1954،

9- مُحَمَّد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2015، ص22.

10- لايكوف وجونسن، ص33.

11- المرجع نفسه، ص26.

12- عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، من أرسطو إلى لايكوف، ومارك جونسون، دار الكنوز للنشر والتوزيع، ط1، 2015،عمان، ص269.

13- المرجع نفسه، ص31.

14- المرجع نفسه، ص29.

15- المرجع نفسه، ص.ن.

16- وسيمة نجاح مصمودي، المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2017، ص116.

17- لايكوف وجونسن، ص66.

18- جمال ناجي، عندما تشيخ الذئاب، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2008، ص 35،36 .

19- لايكوف وجونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ص21.

20- الرواية، ص33.

21- المصدر نفسه، ص50،51.

22- المصدر نفسه، ص125.

23- المصدر نفسه، ص121.

24- لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص26.

25- انظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

26- الرواية، ص121.

27- المصدر نفسه، ص23.

28- المصدر نفسه، ص63.
29- المصدر نفسه، ص266.
30- المصدر نفسه، ص256.
31- المصدر نفسه، ص62.
32- المصدر نفسه، ص 120 .
33- المصدر نفسه، ص139.
34- المصدر نفسه، ص151.
35- المصدر نفسه، ص227.
36- المصدر نفسه، ص145.
37- المصدر نفسه، ص145.
38- المصدر نفسه، ص83.
39- المصدر نفسه، ص178.
40- المصدر نفسه، ص57.
41- المصدر نفسه، ص80،81..
42- المصدر نفسه، ص 71.
43- المصدر نفسه، ص.ن.
44- المصدر نفسه، ص97.
45- المصدر نفسه، ص.ن
46- المصدر نفسه، ص 25.
47- المصدر نفسه، ص26.
48- المصدر نفسه، ص27.
49- المصدر نفسه، ص101.
50- المصدر نفسه، ص108.
51- المصدر نفسه، ص60.
52- المصدر نفسه، ص.ن.
53- لايكوف وجونسن، ص33.
54- انظر المرجع نفسه، ص33.
56- انظر المرجع نفسه، ص:33.
57- عبد العزيز لحويدق، نظرية الاستعارة في التراث البلاغي العربي، ص:268.
58- سورة الملك، الآية 22.
59- الرواية، ص31.
60- المصدر نفسه، ص 31.
61- المصدر نفسه، ص181.
62- المصدر نفسه، ص250.
63- المصدر نفسه، ص315.
64- المصدر نفسه، ص309.
65- لايكوف وجونسون، ص45.
66- المرجع نفسه، ص.ن.
67- انظر المرجع نفسه، ص46.
68- انظر المرجع نفسه، ص.ن.
69- انظر المرجع نفسه، ص49،50،51.
70- الرواية، ص59.
71- المصدر نفسه، ص.ن.
71- المصدر نفسه، ص 252.
72- المصدر نفسه، ص193،194.
73- المصدر نفسه، ص245 و247.

74- المصدر نفسه، ص 317.
75- المصدر نفسه، ص287.
76- المصدر نفسه، ص.ن.
77- المصدر نفسه، ص288.
78- لايكوف وجونسن، ص54.
79- المرجع نفسه، ص55.
80- الرواية، ص 150.
81- المصدر نفسه، ص 177.
82- المصدر نفسه، ص182.
83- المصدر نفسه، ص241.
84- المصدر نفسه، ص327.
85- المصدر نفسه، ص 338.
86- وسيمة نجاح مصمودي، ص:120، 121.